مقال رأي

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

التنافس التركي_الفرنسي في الموصل بعد عام 2018 وانعكاساته على الأمن القومي العراقي

كامل حسين

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

التنافس التركي-الفرنسي في الموصل بعد عام2018 وانعكاساته على الأمن القومي العراقي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الأبحاث / الدراسات السياسية

الاصدار / مقال رأي

الموضوع / شؤون إقليمية ودولية / السياسة الداخلية والخارجية

كامل حسين /باحث

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

المقدمة

تُعد مدينة الموصل، مركز محافظة نينوى، واحدة من أكبر المدن العراقية من حيث عدد السكان، وتكتسب أهمية استراتيجية نظراً لمجاورتها لإقليم كردستان شرقاً والحدود السورية غرباً، وكانت الموصل أول مدينة عراقية يحتلها تنظيم «داعش» في ١٠ حزيران/ يونيو 2014، واتخذها نقطة انطلاق للسيطرة على مدن وبلدات أخرى، ومع تقدم القوات العراقية وتحرير معظم المناطق التي استولى عليها التنظيم في محافظات صلاح الدين والأنبار وديالى، بقيت الموصل آخر معاقله في العراق.[1]

ومنذ العام 2018، دخلت مدينة الموصل ومحيطها مرحلة جديدة من التنافس الدولي، وذلك عقب انتهاء الحرب ضد تنظيم داعش الإرهابي، وما خلفته من فراغات أمنية وسياسية خطيرة. ضمن هذا السياق، برزت كل من تركيا وفرنسا كأبرز الفاعلين الدوليين الساعين إلى تعزيز نفوذهما في المدينة، عبر مزيج من الأدوات الناعمة والصلبة. ويتناول هذا التقرير طبيعة هذا التنافس بين الدولتين، ويحلل انعكاساته المباشرة وغير المباشرة على الأمن القومي العراقي.

ربما يكون من نافل القول ذكر انه في أعقاب إعلان النصر على تنظيم داعش الارهابي وتحرير الأراضي العراقية كافة، شهد العراق تصاعداً ملحوظاً للحضور الدولي، لا سيما من قبل الدول الغربية، التي كثفت من وجودها في العراق عبر قنوات الدعم التي وجهت نحو مختلف الميادين، إلا أن هذا الدعم لم يكن خالياً من الأهداف السياسية والاقتصادية، إذ تحوّلت الساحة العراقية إلى ميدان تنافس لإثبات الحضور والنفوذ، سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي، وتُعد فرنسا واحدة من أبرز هذه الدول التي سعت إلى تعزيز مكانتها في العراق، ولا سيما في محافظة نينوى.

---

1. مثنى العبيدي، اخر معاقل داعش الموصل ... تحديات ما بعد التحرير، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، 20 اب 2016، https://www.futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/258/آخر-معاقل-داعش-الموصل-تحديات-ما-بعد-التحرير

في سياق وجودها، عملت فرنسا منذ بداية الأزمة على دعم العراق، حيث شاركت بفعالية في التحالف الدولي لمحاربة داعش بقيادة الولايات المتحدة، وكانت طائراتها من أوائل المساهمين في تنفيذ ضربات جوية ضد مواقع التنظيم بدءا من 18 أيلول/سبتمبر 2014، كما ساهمت القوات الفرنسية المدفعية في معارك تحرير الموصل، واحتلت فرنسا المرتبة الثانية في التحالف الدولي من حيث حجم المشاركة العسكرية، إضافة إلى ذلك، أرسلت باريس مستشارين عسكريين لتدريب وتأهيل القوات الأمنية العراقية، وقدمت مساعدات إنسانية وعسكرية واسعة النطاق منذ عام 2014، مع اهتمام خاص بالأقليات الدينية مثل الإيزيديين والمسيحيين.

تدرك فرنسا أهمية العراق كدولة محورية في الشرق الأوسط، وتعي التأثير الكبير لأي اضطراب فيه على استقرار المنطقة ككل، وقد سعت في السنوات الأخيرة إلى تعزيز وجودها في شمال العراق، ولاسيما في نينوى، نظراً لتركيبتها السكانية المتنوعة وغناها بالموارد الطبيعية مثل النفط والكبريت والفوسفات، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي وأهميتها التاريخية.

في عام 2022، جاء العراق في المرتبة الثالثة بين الدول المستفيدة من المساعدات الفرنسية، حيث خصص مركز الأزمات والمساندة التابع لوزارة أوروبا والشؤون الخارجية مبلغ11.5 مليون يورو لدعم جهود إرساء الاستقرار، وقد ساهم هذا التمويل بشكل خاص في إعادة تأهيل قسم العمليات الجراحية في المركز الصحي بمنطقة سنجار،[2] والاستقرار في الموصل. كما أبدت 25 شركة فرنسية كبرى استعدادها للاستثمار في المدينة، إلى جانب تمويل مشاريع حيوية مثل إعادة تأهيل جامعة الموصل ومطار المدينة، ومشاريع في قطاع المياه عبر الوكالة الفرنسية للتنمية.

تسعى فرنسا من خلال هذا التوجه إلى استعادة دورها الإقليمي والدولي في منطقة الشرق الأوسط، وتعويض خسائرها الجيوسياسية في ليبيا وسوريا ولبنان وأفريقيا، في وقت بات فيه العراق يمثل فرصة استراتيجية لإعادة ترسيخ مكانتها.

2. موقع الرسمي الفرنسي، https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/dossier-pays/afrique-du-nord-et-moyen-orient/العراق/la-france-et-l-irak/

أولاً: السياسة التركية تجاه الموصل بعد 2018

1. **الوجود العسكري والعمليات الميدانية:** صعّدت تركيا من تدخلها العسكري شمال العراق من خلال سلسلة عمليات «مخلب» منذ عام 2019، وأقامت قواعد عسكرية ثابتة في مناطق مثل بعشيقة ومخمور، تحت غطاء مكافحة الإرهاب وملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني.

2. **المساعدات الإنسانية والإعمار:** من خلال منظمات مثل «تيكا» و«آفاد» و«قزلاي»، نفذت تركيا مشاريع خدمية في قطاعات الصحة والتعليم والبنية التحتية، محاولة كسب دعم السكان المحليين، خصوصاً في أوساط العرب السنة والتركمان.

3. **دعم التركمان خاصة بعض الشخصيات التركمانية:** استفادت تركيا من الروابط القومية مع بعض التركمان لتعزيز حضورها السياسي والاجتماعي داخل الموصل، بما يُمكّنها من تأسيس قاعدة نفوذ محلية طويلة الأمد، وتسعى تركيا إلى الحيلولة دون تحقيق الهدف الأساسي وراء دخول قواتها الى الموصل، ووفقاً لتحليل صحيفة الصباح التركية المقربة من الحكومة، والذي يشير إلى أن هذا التدخل يهدف إلى تدريب وتأهيل التركمان الذين فروا من تلعفر عقب سيطرة تنظيم داعش على المدينة عام 2014، التي يقدر عدد سكانها بحوالي 410 آلاف نسمة. وبحسب الصحيفة، فإن تركيا أبدت انزعاجها من الدعم الإيراني لإنشاء قوة عسكرية من التركمان الشيعة تحت مظلة الحشد الشعبي، مما دفعها إلى السعي لتشكيل قوة موازية للحشد الشعبي في المنطقة.[3] كما تعارض تركيا مشروع استحداث محافظة جديدة في غرب نينوى من منطقتي تلعفر وسنجار لأنه يهدد نفوذها الجيوسياسي في نينوى، ويُعزز من دور التركمان الشيعة والإيزيديين، وهما فئتان لا تملك تركيا نفوذاً فعليا عليهما، وتخشى أن يؤدي المشروع إلى قطع الاتصال الجغرافي بين الموصل والعرب السنة في سوريا، ما يضعف دور أنقرة الإقليمي، خصوصاً إذا أدار المحافظة محافظ شيعي موالٍ لبغداد.

3. - sabah gazetesi, Türk askerinin Musul'a girme nedeni, 15/6/2015, http://www.sabah.com.tr/gundem/2015/12/06/turk-askerinin-musula-girme-nedeni

4. **دعم العوائل الموصلية:** منذ سقوط بغداد، سعت تركيا إلى تعزيز التعاون والتواصل مع بعض العوائل الموصلية من العرب السنة بشكل عام وخاصة مع الإخوان المسلمين، المعروفة بولائها المتواصل من خلال الانسجام في الفكر السياسي. كما كثّفت جهودها في إقامة علاقات وثيقة مع جماعة الإخوان المسلمين، في إطار استراتيجيتها السياسية بالمنطقة.

ثانياً: السياسة الفرنسية تجاه الموصل بعد 2018

1. **الرهان على الحضور الكردي**: دعمت فرنسا القوى الكردية، لا سيما الحزب الديمقراطي الكردستاني، في إطار علاقات تاريخية بين الطرفين، مستفيدة من الدور الكردي الحيوي في مواجهة تنظيم داعش.

2. **الدبلوماسية الثقافية والتعليمية**: أعادت باريس تفعيل الوجود الثقافي من خلال افتتاح مركز للغة الفرنسية في جامعة الموصل، إلى جانب برامج تعليمية وثقافية بالشراكة مع اليونسكو.

3. **إعادة إعمار الرموز الثقافية**: ساهمت فرنسا في مشاريع لإعادة ترميم المعالم التراثية في الموصل مثل جامع النوري ومنارة الحدباء، في مسعى لتعزيز صورتها الثقافية والإنسانية.

4. **الوجود الفرنسي المتوازن في العراق**: على عكس تركيا أو إيران، تسعى فرنسا إلى تقديم نفسها كقوة «نزيهة وغير منحازة»، ما يجعل الموصل - ذات الطابع السني والعرقي المتعدد - ساحة مناسبة لعرض هذا الحياد وكسب دعم محلي.

5. **تدعم فرنسا والدول الأوروبية المشروع استحداث محافظة في غرب نينوى:** لأنه يُقوّي المسيحيين ويمنحهم وزناً أكبر في محافظة الموصل الأصلية بعد استقطاع تلعفر وسنجار، ويُضعف الهيمنة التركية. كما يرون فيه فرصة اقتصادية واستثمارية توسّع من نفوذ بغداد وتسهّل انخراطهم في مشاريع متعددة القوميات في المنطقة.

ثالثاً: مجالات التنافس التركي-الفرنسي

المجال	فرنسا	تركيا
الأمن	دعم غير مباشر ضمن إطار التحالف الدولي	وجود عسكري مباشر وقواعد متقدمة
القوة الناعمة	برامج ثقافية وتعليمية وتراثية	مشاريع إنمائية وإنسانية وتعليمية
الاقتصاد والطاقة	اهتمام بقطاع الطاقة عبر شركات مثل «توتال“	مشاريع طاقة وبنية تحتية
الدبلوماسية	انخراط دبلوماسي عبر الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة	علاقات ثنائية مباشرة مع بغداد وأربيل

رابعاً: انعكاسات التنافس على الأمن الوطني العراقي

1. **تهديد السيادة الوطنية**: أدى الحضور التركي العسكري والتغلغل الفرنسي الثقافي إلى تعزيز ظاهرة تعدد مراكز القوى، ما يُضعف قدرة الحكومة العراقية على بسط سيادتها الكاملة، خاصة في نينوى.
2. **تعميق الانقسامات الداخلية**: دعم أنقرة للتركمان والسنة، مقابل دعم باريس للأكراد، زاد من حدة الانقسامات الطائفية والقومية، مهدداً السلم المجتمعي في الموصل.
3. **عسكرة الشمال**: تسبب التوسع العسكري التركي، خصوصاً في مناطق سنجار ومحيطها، في خلق بيئة أمنية هشّة على الحدود الشمالية للعراق، ما يعرّض البلاد لاحتمالات اشتباك مسلح دائم أو توترات مستمرة.
4. **تآكل المؤسسات الوطنية**: اعتماد السكان المحليين على الحماية والدعم

الأجنبي بدلاً من الدولة، أسهم في تآكل الثقة بالمؤسسات الأمنية، وأضعف من قدرتها على فرض القانون.

5. **تدويل النزاعات الداخلية**: التنافس بين القوى الخارجية في الموصل يُنذر بتحول أي نزاع محلي إلى صراع إقليمي أو دولي بالوكالة، ما يشكل خطراً وجودياً على وحدة العراق وسيادته.

خامساً: دوافع التنافس التركي-الفرنسي في الموصل

على الرغم من أن التنافس الفرنسي التركي في الموصل - الذي تزعم هذه الورقة وجوده - قد لا يتمظهر بشكل علني، إلا أن الوقائع على الأرض، وبقياس حمولتها الدولية، وتداعياتها المحتملة، تظهر وجود هذا التنافس حتى إذا ناقش البعض عدم وجود نية قصدية له، فالتنافس في النهاية متعلق بالمصالح والوجود والقدرة على التأثير، وله من الأسباب والدوافع ما يبرره ويدفع نحوه، ويمكن إجمال تلك الدوافع فيما يلي:

1. الدوافع الجيوسياسية: تسعى تركيا إلى توسيع نطاق أمنها القومي خارج حدودها من خلال مبدأ «العمق الاستراتيجي»، بينما ترى فرنسا في العراق منصة لتعزيز دورها الدبلوماسي في الشرق الأوسط بعد تراجع نفوذها في مناطق أخرى مثل سوريا ولبنان وأفريقيا.

2. الاعتبارات الاقتصادية: تحتوي نينوى على موارد طبيعية مهمة وموقع استراتيجي على طرق التجارة، ما يجعلها نقطة جذب لمشاريع البنية التحتية والطاقة، وهو ما يفسر دخول شركات فرنسية وتركية كبرى إلى المنطقة. على سبيل المثال كانت الشركة الفرنسية ممثلة بشركة ADPI الأوفر حظاً لتولي المشروع، لكن القرار النهائي عاد لصالح شركتين تركيتين TAV و77 Construction.

3. المنافسة على النفوذ الثقافي والديني: تستغل فرنسا إرثها الثقافي وعلاقاتها مع الأقليات المسيحية، بينما تستند تركيا إلى الروابط القومية والدينية مع التركمان والسنة، ما يعكس طابعاً ناعماً لهذا التنافس.[4]

4. منتدى فكرة، تركيا تتغلب على فرنسا في مشروع إعادة اعمار مطار الموصل، محمد الاجا. https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/trkya-ttghlb-ly-frnsa-fy-mshrw-aadt-amar-mtar-almwsl

سادساً: المواقف العراقية من التنافس

لا تكاد الحكومة العراقية أن تمتلك القدرة على مواجهة هذا التنافس في النفوذ، لعوامل متعددة، ناهيك عن محاولة بغداد الصمود في موقع التوازن في علاقاتها الدولية، لحساسية الظرف الدولي، وضعف السياسة الخارجية العراقية، ومحاولة مسك العصا من المنتصف. لهذا، يمكن لنا أن نستشف بعض الملامح التي تُشكّل أو قد تُشكّل موقفاً للحكومة العراقية من التنافس التركي-الفرنسي في الموصل:

1. **الموقف الرسمي:** تحاول الحكومة العراقية الحفاظ على توازن في علاقاتها مع الجانبين، إلا أنها تُواجه صعوبات في فرض رؤيتها الموحدة، خاصة مع تعقيد المشهد الأمني والسياسي في نينوى.
2. **ردود الأفعال المحلية:** تختلف مواقف القوى السياسية والمجتمعية في الموصل؛ فبينما ترى بعض القوى في التدخل التركي حماية، تعتبر أخرى التدخل الفرنسي ضماناً لحقوق الأقليات، وهو ما يزيد من هشاشة الوحدة المحلية.

سابعاً: توصيات استراتيجية

1. تعزيز الحوكمة المحلية: دعم الإدارة المحلية في نينوى وتطوير البنية التحتية الحكومية يُسهم في تقليل الاعتماد على القوى الأجنبية.
2. تنويع الشراكات الدولية: بدلاً من ترك الساحة لقوى محددة، يمكن لبغداد تفعيل دور أطراف دولية أخرى (مثل الصين أو ألمانيا) لتحقيق توازن في النفوذ.
3. إعادة بناء العقيدة الأمنية: ضرورة إعادة تأهيل الأجهزة الأمنية على أسس وطنية موحّدة تمنع الارتباط بأي أجندات خارجية.

الخاتمة

إن فوز تركيا بمشروع مطار الموصل يعكس نفوذها السياسي والاقتصادي المتزايد في العراق، لكن ذلك لا يخلو من التحديات، خصوصاً مع استمرار المنافسة مع إيران وفرنسا. فقد باتت مدينة الموصل بعد عام 2018 مثالاً صارخاً لتأثير التنافس الإقليمي والدولي على استقرار الدول الهشّة. وإن استمرّ التنافس التركي-الفرنسي دون ضوابط واضحة، فإن أزمات العراق الأمنية والاجتماعية مرشّحة لمزيد من التعقيد.

ومن هنا، فإن إعادة صياغة الاستراتيجية الوطنية العراقية باتت ضرورةً ملحّة، تقوم على استعادة السيادة الوطنية، وتقوية الأجهزة الحكومية، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، لا سيّما في المناطق المحرّرة، بما يكفل تحجيم التأثيرات الخارجية وصيانة الأمن القومي.

ويمكن في الختام أن نستشفّ من بعض المؤشرات أن الولايات المتحدة ترى في الوجود التركي في الموصل فائدةً لها، لما يحدثه من تقليص للنفوذ الإيراني والفرنسي في المدينة.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org